أسباب النزول عند الشيخ الحافظ محمد إدريس في تفسيره "كشاف القرآن"، وعند الشيخ سلطان محمود في تفسيره "وضاحة القرآن"

(دراسة تحليلية مقارنة بين النظرية والتطبيق)

Causes of Revelation in the Tafseer "Kashaf Ul Quran"by Shikh Hafiz Muhammad Idrees and Tafseer " Wazahat Ul Quran" by Shikh Sultan Mahmood

An Analytical and comparative study

محمد عاصم[1]
الدكتورهارون الرشيد[2]

Abstract:

The sciences of Quran are the most Important Sciences among the Islamic sciences, we are finding in the Islamic literary history that the Islamic scholars have deep concern with these sciences, and they wrote specific various books in the Arabic language, and they also focused on it in their *Tafaseer* (Commentaries of Quran) of the noble Quran, because the correct understanding of the massage of Quran bases upon on these sciences. After the spread of Islam to the other none Arab areas of the world, the Islamic scholars started the production of literature related to Quranic sciences in the various languages of the world, the Pashto language is one of that great Muslim languages in which the scholar wrote hundreds of books generally on Islamic sciences and specially in the science of Tafseer.

This article is concerned to discuss analytically and comparatively an important science related to Understanding of Quran called the causes of revelation (*Asbab Ul Nuzool*) in the light of two Important Tafseer of Pashto language written in fourteenth century of *Hijra*.we will discuss the methodologies of the Both *Mufassereen* in the utilization of this science in their commentaries to interpret the Quran in the light of the principles of Interpretations (*Usul e Tafseer*), which are derived by the earlier scholars from Quran and Sunnah.

Keywords: Causes of Revelation, Kashaf Ul Quran, Wazahat Ul Quran

[1] .طالب الدكتوراة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد
[2] .الأستاذ، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

إن علم كتاب الله تعالى من أصل العلوم الإسلامية، ولأجل ذلك العلماء المسلمون قد قاموا واجتهدوا لخدمة القرآن الكريم في تراثهم التفسيرية باللغة العربية أولا وبعد نشر دعوة الإسلام شيئا فشيئا إلى الأقوام الأخرى غير العربية فإن العلماء قاموا بكتابة تفاسير القرآن بلغاتهم المحلية، ومن أهم هذه اللغات لغة البشتو، فإن العلماء الكثيرون قد كتبوا تفاسيرهم بهذه اللغة؛ ومن ذلك الأعلام الشيخ الحافظ محمد إدريس صاحب تفسير "كشاف القرآن" والشيخ سلطان محمود صاحب تفسير "وضاحة القرآن" الذَين من علماء القرن الرابع عشر الهجري وكانا من مديرية مردان بإقليم خيبر بختونخوا باكستان.

وكما يعلم العلماء والمحققون أن هناك كثيرا من العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ ومنها العلم "أسباب النزول" الذي يمدد و يعاون جدا في فهم كتاب الله تعالى، والتعامل الصحيح مع هذا العلم قد يصل المفسر به إلى تفسير صحيح لكتاب الله تعالى وبالعكس فإن المفسر الذي لم يراعي الأصول التي بيّنها العلماء الماهرين للتعامل مع هذا العلم والاستفادة منه في تفسيره فيقع في الخطأ في بيان معاني كتاب الله عز وجل.

وقد ماست الحاجة إلى دراسة التفاسير البشتوية لنرى تعاملهم مع هذا العلم ولنعلم كيف استفادوا منه في تراثهم التفسيرية وليظهر أهمية كتبهم التفسيرية فأردنا أن نقوم بدراسة أسباب النزول نظرية وتطبيقية في تفسير كشاف القرآن للشيخ الحافظ محمد إدريس مقارنة بتفسير وضاحة القرآن للشيخ سلطان محمود في هذا المقال.

وقد طبعت هذيين التفسيرين وكان كلا المفسرين من عصر واحد ومن منطقة واحدة وقد جعل الله تعالى القبول لتفاسيرهما عند العلماء الذين جاءوا من بعدهم ولدى الطلاب العلوم التفسيرية وكذلك عند عامة الناس، لأن في هذين التفسيرين إن كان فيه البحوث الكلاسيكية والفنية من جانب ففي جانب آخر لغتهما سهلة ومفهومة لدى عامة الناس.فهذين التفسيرين من أبرز وأشهر التفاسير بين صف التفاسير التي ألفت في النصف الآخر من القرن الرابع عشر الهجري.

وفي هذا المقال قدمنا نبذة مختصرة من حياة كلي الشيخين ونظرياتهما حول أسباب النزول ثم بينا بعض الأمثلة التطبيقية من تفاسيرهما في هذا الجانب وفي الأخير سنذكر أهم نتائج هذا البحث.

حياة الشيخ الحافظ محمد إدريس وخدماته العلمية:

هو الحافظ محمد إدريس بن الحافظ احمد شاه وكان شهيرا بـ"الحافظ" بسبب حفظه للقرآن الكريم مبكرا ، قد ولد فى قرية طورو من مديرية "مردان" بإقليم خيبر بختونخوا فى يناير سنة 1910م الموافق 1328هـ [3] وقيل في سنة 1915م الموافق 1333 [4]. وكانت أسرته أسرة دينية وشهيرة للعلم والمعرفة، وكان الطلاب العلوم الدين قد يأتون للتحصيل العلم إلى بيته لأن جده مولانا محمد إسماعيل كان عالما كبيرا في بيئته. فقد بدء الشيخ دراساته في المدرسة الإبتدائية الرسمية في قريته، و"حفظ القرآن الكري"م مع أبيه في بيته[5]. وبدأ بدراساته للعلوم الدينية عند جده وكذا استفاد من علماء قريته. وقد رحل إلى مناطق الهند العديدة منها؛ "امروهة" و"اورنك آباد" و "على كرھ" و "دهلى" و"دابهيل". وقد استفاد كثيراً من

(3): مجلة "شفق" بلغة بشتو العدد الخاص بـ الحافظ محمد إدريس سنة ۱۹۷۵م،ص:۴۸۔

(4) الدكتور فيوض الرحمان ،علما ئے سرحد كي تصنيفي خدمات (الخدمات التصنيفية لعلماء سرحد ، والآن بدل إسم الإقليم من سرحد إلى خيبر بختونخواه) لاهور۱۹۹۱م،ص:۱۴۔

(5) محمد شفيع صابر، شخصيات سرحد يونيورستي بك ايجنسي بشاور ، ص:۱۹۵۔

الشيخ أنور شاه الكاشميري[6] وسافر سنة 1352هـ الموافق 1934م إلى لاهور وأخذ شهادة "مولوي فاضل" من جامعة بنجاب، وقد سجل في سنة 1935م الموافق 1353هـ لشهادة "منشي فاضل"[7] و"أديب فاضل"[8]. ثم بدأ الشيخ حياته التدريسية في المدرسة الإسلامية بمدينة مردان في عام 1934م الموافق بسنة 1354هـ، وتولى منصب "باحث اللغة العربية وآدابها" في جامعة بنجاب سنة 1935م .ثم انتقل للتدريس في كلية امرتسر بالهند "M.A.O College" وعين رئيس "قسم الدراسات الإسلامية" في عام 1937م. واستمر في منصبه هذا إلى نهاية عام 1942م الموافق بسنة 1361هـ وبعد رجوعه من الهند عين "معلّم اللغة العربية" والأردية في الكلية الإسلامية بشاور في عام 1943م الموافق بسنة 1362هـ[9] ثم انتقل إلى المدرسة الجامعة الإسلامية في عام 1944م الموافق بسنة 1363هـ، واستمر في التدريس هنا إلى نهاية عام 1947م الموافق بسنة 1366. ثم تحول إلى وزارة الإعلام باقليم خيبر بختونخوا وعين رئيس التحرير لمجلة تصدر من وزارة الإعلام باللغة الأردية في عام 1947م ومضي إلى عامين. وبعد استقلال باكستان رجع مرة آخري إلى التدريس وعيّن محاضراً للغة العربية بالكلية الحكومية بابيت آباد سنة 1949م الموافق بسنة 1368هـ ولم يلبث في ايبت آباد كثيرا حتى انتقل إلى مديرية مردان وعين "محاضر اللغة العربية" بالكلية الحكومية بمردان.[10] وقد انتهى حياته التدريسية من جامعة بشاور وكان فيها عميداً لكلية اللغة العربية سنة 1962م الموافق بسنة 1384هـ [11]. وقد ترك تراثاً علميا هاماً في الدراسات الإسلامية والأدبية في اللغة الأردية والعربية والبشتوية؛ فمن أهمها في اللغة البشتو: تفسير كشاف القرآن، ودراسة القرآن، ومعجزات نبوي، اسلامي قصي (القصص الإسلامية) ، د علم دين د طريقي اصلاح (الطريقة الصحيحة لتحصيل على علم الدينى)، بشتو كرائمر (قواعد اللغة البشتوية) [12].

---

(6) "هو محمد أنور بن معظم شاه الكشميري ، ولد بكشمير سنة ١٩٩٢هـ؛ ودرس بديوبند، وقرأ على شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندي الشيخ محمد إسحاق الأمرتسري ،وبعد أن تخرج من دارالعلوم ولى التدريس بالمدرسة الأمينية بهلي ثم سافر إلى الحجازو أسند الحديث من الشيخ الجسر الطرابلسي، ثم رجع إلى الهند ودرّس بديوبند إبتغاء وجه الله. من مصنفاته: (فيض الباري شرح صحيح البخاري) في أربعة مجلدات ، (عرف الشذى على جامع الترمذي) ، (مشكلات القرآن) ، (نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين) ، (ضرب الخاتم على حدوث العالم) وغيرها توفي رحمه الله سنة ١٣٥٢هـ" نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للشيخ عبد الحي الحسني ، دار ابن حزم بيروت –لبنان، ١٤٢٠ هـ١٩٩٩م،ج:٨،ص١١٩٨-١١٩٩-

(7) قال المولوي أبو الحسنات في تعريف هذه المصطلحات "فاضل" و"عالم" و"قابل" التي اشتهربها طلاب العلم والعلماء في الهند: "الفاضل هو الذي مهر في المنطق والحكمة ويكون قليل البضاعة في العلوم الدينية ، أما العالم فهو الذي درس العلوم الدينية وأما قابل فهو الذي تبحر في فنون الصرف والأدب". ينظر كتابه: هندوستان كى قديم درسگاهيں، الناشر- أصح المطابع- كارخانه تجارت كتب، آرام باغ كراتسي ، باكستان،، ١٣٩٨هـ،ص:١٠٣-

(8) محمد شفيع صابر ، شخصيات سرحد ،ص:١٩٥-

(9) ينظر مقالة : "الحافظ محمد إدريس" لمحمد عنايت الله ، طبع في مجلة "شفق" بلغة بشتو، العدد الخاص بـ الحافظ محمد إدريس سنة ١٩٧٥م،ص:٣-

(10) الدكتور فيوض الرحمان،علما ئ سرحد كي تصنيفي خدمات، ص:١٤-

(11) مولانا القاضي محمد زاهد الحسيني ، تذكرة المفسرين ، دار الارشاد اتك –باكستان ، ١٤٢٥هـ،ص:٣٢٢-

(12) ولمزيد التفصيل حول مصنفاته انظر :علما ئ سرحد كي تصنيفي خدمات، للدكتور فيوض الرحمان، ص: 15، ومجلة "شفق" بلغة بشتو ص: 1 العدد الخاص بـ الحافظ محمد إدريس سنة ١٩٧٥و مجلة " ټرون" بلغة بشتو، العدد الأول ٢٠٠٧م،ص:٥١-

وكان الشيخ "أراد السفر إلى مصر لزيارة الأزهر الشريف فتوفي في 20 مايو 1965م الموافق بسنة 1384هـ أثناء سفره إلى مصر بسبب سقوط الطائرة بالقرب من القاهرة [13]، وتوفي معه جميع الركاب وعددهم 123 شخصاً.

حياة الشيخ سلطان محمود صاحب تفسير"وضاحة القرآن":

هو الشيخ سلطان محمود بن الشيخ جاندار خان ، المعروف بـ"صاحب حق" و"سكندري صاحب" . قد ولد سنة 1315هـ الموافق 1897 م في قرية "يعقوبي" (يعقوبي كلے) في مديرية "صوابي" بإقليم خيبر بختونخوا، وكان أصل أسرته من مديرية "بونير". تعلم الشيخ سلطان محمود على يد أخيه الأكبر الشيخ عبدالعلي، والشيخ المفتي كفاية الله الدهلوي رحمه الله [14] وغيره من كبار العلماء في المدرسة الأمينية في دهلي بالهند. وبعد التخرج بدأ بتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه في مسجد قريته المعروف بـ "صاحبزادكانو جمات" سكندري (مردان)، فأصبح بعد قليل مركزا لكثير من طلاب العلم ومحبي العلوم الدينية. وكان الشيخ تاجرا شهيرا وكان له مصنعا ذاتيا للمصنوعات الحشبية، وكان رجلا سياسيا كبيرا؛ حتى إنتماءه السياسي إلى حزب "الرابطة الاسلامية" وله جهود جبارة لإستقلال الباكستان من الإنجليز ولتحرير المسلمين من الإستعمار الإنجليزي والهندوسي، ولتنفيذ الشريعة الإسلامية في باكستان. ثم بعد مدة قصيرة أصبح ركنا لـ"جماعة إسلامي باكستان". وكان مع هذه الجماعة إلى آخر عمره وقد جاهد بقلمه ولسانه لإصلاح المجتمع، ومن مؤلفاته الممتعة: تفسير وضاحة القرآن، وتكميل الإيمان، وضابطة الميراث، وآسانه فقه (الفقه الميسر)، في اللغة البشتو، توفي الشيخ 1400هـ، شهر يوليو1980م [15].

نظرية الشيخ الحافظ محمد إدريس حول أسباب النزول:

اهتم الشيخ ببيان المعنى الاصطلاحي لأسباب النزول، وبحث عن مراد الصحابة والتابعين عن هذا المصطلح ويشرح الأمر شرحا وافيا، كما ظهر موقفه من التفاصيل الآتية:

تعريف أسباب النزول عند الحافظ محمد إدريس: إن الشيخ قد بحث عن مفهوم علم أسباب النزول في مقدمة تفسيره ، وأذكر هنا موقفه في النكات التالية :

أولاً: "كان في بعض الأحيان عندما "سئل سوالا عن النبي صلى الله عليه وسلم" ، أو عندما "وقعت الحادثة" أو "عقب إحدى المقدمة من المقدمات نزل بعض الآيات المتعلقة منها" فذلك السؤال أو الحادثة أو المقدمة يقال لها أسباب النزول"[16].

إن عبارة الشيخ واضحة فإنه يرى أن هناك بعض آيات من القرآن التي نزلت في جواب السؤال أو في "عقب حادثة" أو مقدمة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا السوال أو المقدمة أو الحادثة سبب لنزول هذه الآيات .

---

(13) ينظر مقالة : الحافظ محمد إدريس لمحمد عنايت الله، طبع في مجلة "شفق" البشتوية العدد الخاص بـ الحافظ محمد إدريس، ١٩٧٥م، ص،٣٠-

(14) "هوالشيخ المفتي كفاية الله بن عناية الله الحنفي الشاجهانبوري ثم الدهلوي، أحد كبار العلماء ، ولد سنة (١٢٩٢هـ) سافر إلى ديوبند سنة (١٣١٢ هـ) وقرأ على يد الشيخ منفعت علي الديوبندي والحكيم محمد حسن والعلامة حسن الديوبندي . ثم توجه إلى الدهلي على طلب الشيخ العلامة أمين الدين ، مؤسس المدرسة الأمينية ومديرها ، فدخل المفتي كفاية الله في سلك أساتذة المدرسة الأمينية سنة (١٣٢١ هـ) حتى آلت إليه إدارتها سنة (١٣٣٨ هـ) واستقام بها أربعة وعشرين (٢٤) عاما . وكانت للشيخ عناية خاصة بالقضايا الإسلامية ، وميل إلى السياسة ، يتألم بما يؤلم المسلمين ، وله متاب كبير في فتاوى طبع من قبل" . توفي رحمه الله سنة (١٣٧٧ هـ) مختصرا عن : نزهة الخوطر، لعبد الحي الحسيني، ج:٨،ص:٣٧٤-٣٧٧ ـ

(15) سجلت هذه الامور من معلومات إبن الشيخ ، حاجي حامد في لقائي معه بتاريخ ٢٠ من شهر أكتوبر سنة (٢٠٠٦ م) في " سكندري " مردان .

(16) حافظ محمد إدريس،مقدمة تفسير كشاف القرآن، ماستر برنترز محله جنكي بشاور، يونيورستي بك ايجنسي بشاور، خيبر بختونخواه، باكستان، ١٩٩٥م ج:١،ص،٣-

ثانيا : ذكر الشيخ السؤال الوارد على هذا المفهوم فقال: "علينا أن نفهم النكتة المتعلقة بأسباب النزول بأن هذه قاعدة عند بعض المفسرين بأنهم يذكرون أسباب النزول لكل آية من آيات القرآن ، وفي بعض المواقع عندما يتفكر الإنسان فإنه لم يجد أي مناسبة بين الآية وبين سبب نزولها وفي بعض الأحيان الأية تكون مدنية ويذكرون معها قصة تتعلق بالحياة المكي وفي بعض الأحيان تذكر القصص العديدة كسبب نزول للأية الواحدة".

بعد إيراد هذا الإشكال المتعلق بمسألة أسباب النزول أجاب عنه بالتفصيل وحلّ هذه المشكلة أن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يستعملون هذه الاصطلاحات لمعنى الخاص. كما ورد قول الإمام شاه ولي الله الدهلوي في لردّ هذا الإشكال، حيث يقول: "يقول الشاه ولى الله في هذه المسألة: علم من قراءة أقوال الصحابة والتابعين بأن قولهم "نزلت في كذا وكذا" إنهم لا يقولون هذا لا محالة على الحادثة التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصبحت سببا لنزول الآية، ولكن في بعض الأحيان يقولون ذلك على الحوادث العامة عندما يرون بينها وبين مضمون الآية مناسبة سواء وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم او بعد ذلك، وفي هذه الحالة تطبيق جميع قيود الآية على هذه الحادثة ليس ضروريا، هذا يكفي بأن أصل حكم الآية تطبق عليها فقط".

ثم يلقي الشيخ الضوء على المعنى آخر لأسباب النزول حيث يقول :"وفي بعض الأحيان عندما وقعت الحادثة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حكمها من الآية ففي هذه المواقع الصحابة كانوا قد يقولون "فأنزل الله قوله أو فنزلت" فكانما يراؤون بأن في ذلك الوقت استنباط النبي صلى الله عليه وسلم من الآية او إتيان ذلك المفهوم من الآية في ذهن النبي صلى الله عليه وسلم علامة بأنها قسم من أقسام الوحي إليه ولهذا الوجه قالوا "فأنزلت" وفي هذه المواقع عندما يقول أحد أن الآية نزلت مرة ثانية فهذا ايضا يجوز".

نقل الشيخ محمد إدريس مفهوم قول الإمام شاه ولي الله المتعلق بهذه المسألة في الفاظه ولم ينقل أصل عبارته بتمامه من كتابه الفوز الكبير. ثم يشرح الحافظ محمد إدريس هذا القول ويستنبط منه النتيجة فيقول: "علم من هذا أن لفظ سبب النزول عام جدا عند السلف الصالحين ويشمل لجميع صور الإستنباط والإستدلال، فإن الإنسان عندما يتذكر هذه الأصول فإنه لا يجد أي مشكلة المتعلقة بأسباب النزول" [17].

رأينا أن الشيخ أولا قام بتعريف هذا المصطلح ثم يتوجه إلى مفهوم التعريف ويجيب عن الإشكالات التي لم يفهمها أكثر الناس فلأجل ذلك لم يصلوا إلى المفهوم الأصيل لهذا المصطلح، ففي هذا الجانب نظريته توافق مع نظرية الشاه ولي الله الدهلوي في هذا الباب تماما. ومن منهجه الذي سار عليه في هذا الجانب فهمنا أنه من المفسرين المحققين، وهذه الأمور تدل على دقة معرفته فإنه يرى أن للأسباب النزول أهمية في فهم الكتاب ولكن لا معنى ذلك بأننا نلتمس أسباب النزول لكل آيات القرآنية وليس ضروريا أن كل ما ورد من الروايات في هذا الباب يصح قبولها كأنها أسباب النزول الأصيلة في الحقيقة بل لا بد للمفسر أن يفهم اصطلاحات المتقدمين ويفهم بالدقة أن أي رواية تمد في فهم كتاب الله وأي رواية جاءت فقط لبيان ما صدقت عليها الآية.

ثالثا : إن الشيخ يرى أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

رابعا: يذكر الشيخ الروايات بدون ذكر الإسناد وعامة هو لا يذكر مصادرها ويذكر خلاصتها في الفاظه.

خامسا: في بعض الأحيان يجمع الشيخ محمد إدريس الروايات المختلفة ويجعلها مصداق الآية الواحدة،كما وضحنا رأيه في النكتة الأولى فهويرفع الإشكال بهذه الطريقة .

دراسة تطبيقية من تفسير" كشاف القرآن" للحافظ محمد إدريس حول أسباب النزول:

قد ذكرت في النكات المذكورة نظرية الشيخ محمد إدريس حول أسباب النزول ورأينا أنه يسلم أهمية معرفة أسباب النزول فإنه قد قام بتعريفه الإصطلاحي في مقدمة تفسيره ثم قام ببيان مفهوم الإصطلات الخاصة التي استعملها

([17]) حافظ محمد إدريس، كشاف القرآن، ماستر برنترز محله جنكي بشاور ، الناشر : يونيورستي بك ايجنسي بشاور، خيبر بختونخواه باكستان، ۱۹۹۵م ج:۱،ص،م ون۔

الصحابة والتابعون في هذا الفن، ورأينا أنه وافق مع الإمام شاه ولي الله وغيره من المحققين بأن الصحابة والذين جاءوا من بعدهم إستعمل هذه المصطلحات لمعاني المتعددة وليس ضروريا أن جميع ما ورد منهم من الروايات تكون أسباب النزول للآيات على المصطلح الخاص. وبعد فهم نظريته لا بد لنا أن نفهم كيفية بيانه واستمداده من روايات أسباب النزول في تفسير الآيات ، فلفهم منهجه التطبيقي سأذكر هنا بعض الأمثلة من تفسيره على قدر الحاجة.

أولا: بيان أسباب النزول للآيات على وجه العام

في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[18] بين الشيخ سبب نزول هذه الآية فيقول: "ومن هنا بدأ بيان القصة التي اشتهرها المنافقون كذباً وافتراءً، عندما رجع النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة من غزوة بني المصطلق وكان معه عائشة رضي الله تعالى عنها في هذا السفر وكانت على الإبل الآخر، فكانت ذهبت من خيمتها في وقت الليل لرفع الحاجة إلى جانب الصحراء، وفي أثناء ذلك تحركت القافلة وخرجت من ذلك المكان ، فعندما رجعت عائشة رضي الله تعالى عنها ورأت أن القافلة قد ذهبت فجلست في ذلك المكان في الحيرة وبعد وقت قليل نامت، وكان صفوان رضي الله عنه أحد أصحاب النبي صلى الله، وكان في ذمته أن يأتي خلف القافلة ويجمع الأشياء اليسيرة الباقية من القافلة فحينما رأى سيدة عائشة وعرفها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون (ظن أنها قد ماتت) وبعد إيضاح الأمر ركبها على إبله وفي وقت الظهيرة التحق بالقافلة ، فعندما وصل الخبر إلى عبد الله بن أبي رئيس المنافقين فاتهمهما بذلك ، وهناك أشخاص أخرى من المؤمنين غير المنافقين الذين تأثروا بهذه التهمة وشاركوا فيها مثل حسان بن ثابت ، والمسطح وامرأة إسمها حمنة بنت جحش . ووصل هذا الخبر إلى سيدة عائشة بعد شهر فحزنت حزنا شديدا ثم ذهبت إلى بيت أبيها ومكنت إلى أن الله تعالى أنزل هذه الآيات لبراءتها من تلك التهمة فوضح الأمر" [19].

إن هذا التفسير مختصر جدا وكان الشيخ أراد أن يذكر ما هو أهم لعامة الناس فإنه لم يدخل في التفاصيل ولأجل ذلك ذكر هذه الرواية بدون ذكر سندها ومصدرها وبدون بيان حكمها وذكر مفهوم الرواية في ألفاظه بالإختصار.

وكذا في قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [20].

يقول الشيخ في بيان اسباب النزول لهذه الآية: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فكان يجلس في بيت زينب بنت جحش لوقت زائد وكان يشرب شربة العسل، فغرت به الأزواج الأخرى، فإن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تكلما فيما بينهما بأن تلتمسا طريقا لمنع النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس هنا، وكان يوما من الأيام عندما شرب النبي وخرج من بيتها فقالت له حفصة بأنها تجد ريح المعافير من فمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني شربت شربة العسل فإن كان فيه معافير فأقسم أني لا أشربه أبدا، ولكن لا تقل هذا لأحد. فأخبرت صديقتها عائشة فنزلت هذه الآيات عقب هذه الواقعة وفيه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحرم شيئا على نفسه أحله الله له مرضاة لأزواجه" [21].

قوله تعالى : "وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ" [22].

يذكر الشيخ قصة سبب نزول هذه الآية بالتفصيل حيث يقول : "كان في المدينة رجل بإسم عبد الله بن أبي وكان رئيس المنافقين وكان دائما إلتمس النقصان للمؤمنين، وبعد بضعة أيام عندما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة

([18]) القرآن٢٤: ١١-

([19]) حافظ محمد إدريس، كشاف القرآن ، ج:٢،ص:٩١٨-

([20]) القرآن٦٦: ١-

([21]) حافظ محمد إدريس،كشاف القرآن ، ج:٢ ،ص:١٥٥٢-

([22]) القرآن٩: ٨٤-

تبوك فمات عبد الله بن أبي وكان له ابن إسمه عبد الله وكان مسلما صادقا وخادما مخلصا للإسلام، فجاء إلى النبي صلى الله عله وسلم وأخبره بأن أبوه قد مات وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم قميصه ليصنع منه كفنه فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ليؤم الصلاة عليه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وافق ذلك حسب مزاجه الرافق، فقال عمر يا رسول الله أتقوم على جنازة رجل فعل في تمام عمره كذا وكذا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا، فعندما صلى عليه صلاة الجنازة فنزلت هذه الآية ومنعه الله تعالى بحكمه عن الصلاة على هؤلاء الناس المنافقين، وبعد هذه الواقعة كان عندما مات أحد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحققه وعندما رأى شيئا عير المناسب في أحد فأمر أهله أن يصلوا عليه ولم يذهب إليه بنفسه" [23].

ذكر الشيخ هذه القصة بدون ذكر سندها ومصدرها، وكذلك لم يأت بألفاظ خاصة بل بين مفهومها التي نقلها أكثر المفسرين، لأن هذه الرواية اشتهرت عند المفسرين، ولو عند بعض المفسرين فيها نظر.

ثانيا :ذكرالسياق والأحوال التي نزلت فيها الآيات:

ومن حسن منهج الشيخ الحافظ محمد إدريس أنه في بعض الأحيان يذكر الأحوال العامة التي نزلت فيها بعض السور أو الآيات القرآنية، ولم يذكر السبب الخاص كما في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ"[24] يبين الشيخ الحافظ محمد إدريس الأحوال التي أنزلت فيها هذه الآية، فيقول: من هنا نزلت ثلاثون آية تقريبا في عقب إتيان وفد نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي أحوال فتح مكة وعندما جاءت الوفود من قبائل العرب المختلفة في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم لقبول الإسلام، وفي ذلك الوقت كانت النصارى يعيشون في نجران (والنجران يقع بين حجاز وبين اليمن) وكانت هناك 73 قرى للنصارى وكانوا قوما كبيرا وذا حكومة، فجاء وفدهم المشتمل على ستون نفرا بقيادة سادتهم الثلاثة إلى المدينة، فتكلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم حول مستقبلهم، فنزلت هذه الآيات في ذلك الوقت وفيها ذكر قصة عيسى عليه السلام بالتفصيل" [25].

رأينا في هذا المثال بأن الشيخ محمد إدريس في بعض الأحيان يشير إلى الأحوال التي نزلت فيها الآيات ونعلم أن بيان السياق الحالي وفهم القرائن تمد في فهم الآيات ، وهذه طريقة ممتازة عندما المفسر يلقي الضوء على الأحوال والوقاضع العامة وقت نزول الآيات وهذه الطريقة تفيد من بيان أسباب النزول على طريقة خاصة بحيث تبين أن الآية نزلت في شخص معين، وفي هذه الطريقة رعاية خاصة لنظم القرآن الكريم.

ثالثا: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، والجمع بين الرو ايات المختلفة

يرى الشيخ محمد إدريس على "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، مع أنه يذكر روايات أسباب النزول ويسلم أهميتها، كما سنوضح موقف الشيخ في الأمثلة التالية:

مثلا في تفسير قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ"[26] يذكرالحافظ محمد إدريس أولا سبب نزول الخاص الذي ورد في الروايات لهذه الآية، فيقول: "يعني أن كفار مكة جاءوا بتدابير كثيرة في مخالفتكم و سعوا أن يفسدوا أموركم لكن لم ينجوا

---

[23]حافظ محمد إدريس، كشاف القرآن، ج:١،ص:٤٩٣۔

[24] القرآن٣: ٣٣۔

[25]حافظ محمد إدريس، كشاف القرآن، ج:٣،ص:١٢٥۔

[26] القرآن٥: ١١۔

بمكرهم في مقابلة تدابير الله تعالى. وجاء في رواية أخرى أن بعض اليهود دعوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الضيافة وأرادوا أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخبر الله تعالى نبيه فلم يذهبوا إلى مجلس الضيافة" [27].

وبعد ذكر هذا السبب الخاص يركز على مسألة عمومية آيات القرآن فيقول :"هذا ممكن بأن الآية جاءت في هذا الموقع أو نزلت في موقع مناسب آخر ، ولكن مضمون الآية عام، وهذ أمر واضح بأن في ذلك الوقت هناك أعداء كثيرون حول النبي صلى الله عله وسلم، وهؤلاء الناس خططوا تدابيرهم لمخافة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فنجاهم الله تعالى منها بفضله ورحمته [28].

فإن الشيخ أولا ذكر مفهوم الآية بأن المراد من القوم كفار مكة، ثم بعد ذلك بين سبب النزول الخاص يعني بأن هذه الآية نزلت في اليهود، ثم قال بأنه ممكن أن الآية متعلقة بهما أو نزلت في واقعة أخرى، وفي الآخير ذكر بأن مضمون الآية عام، حسب قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وانطبق القاعدة، وبين الأحوال بأن في ذلك الوقت كان للنبي صلى الله عله وسلم أعداء كثيرون فنجى الله تعالى نبيه عن مكر جميع الأعداء.

نظرية الشيخ سلطان محمود في تفسيره " وضاحة القرآن "المتعلقة بأسباب النزول:

وبعد بيان منهج الشيخ محمد إديس في أسباب النزول ونقل أمثلة على ذلك من تفسيره سأذكر هنا موقف الشيخ سلطان محمود في هذا العلم وطريقة إستفادته منه في بيان معاني الآيات وشرحه في تفسيره وضاحة لقرآن.

إن الشيخ سلطان محمود قد استفاد من علم أسباب النزول في تفسيره وفي هذا المقال سنذكر منهجه بين النظرية والتطبيق وسنتبع هنا "المنهج الإستقرا ئي" ، لأن الشيخ لم يذكر نظرياته في مقدمة تفسيره حول هذا العلم كما يذكره الشيخ حافظ محمد إدريس من قبل، بل هو استفاد من الروايات المتعلقة بأسباب النزول فعلا في تفسير الآيات القرآنية العديدة ومنهجه النظري كما فهمت من تفسيره في هذا الجانب كما يلي:

أولا: إن الشيخ سلطان محمود لم يذكر أسباب النزول لجميع الآيات القرآنية في تفسيره بل يذكرها في مواضع المهمة عندما يرى الحاجة لذكرها في بيان المفهوم الصحيح للآية وهذا يدل على أنه من المعتدلين في هذا الجانب وهذا ايضا يدل بأنه يسلم أهمية هذا العلم في بيان تفسير الآيات القرآنية .

ثانيا: أن الشيخ سلطان محمود يذكر أسباب النزول لبعض السور والآيات ولا يذكر مصادرها ولم يذكرهذه الروايات في ألفاظها الخاصة بالغة العربية بل يذكر مفهومها باللغة البشتو.

ثالثا: وفي بعض الأحيان يذكر اسم الرواي من الصحابة مع عدم ذكره للمصدر ولا يوضح حكم الرواية من الصحة والضعف.

رابعا: في بعض الأحيان هو يذكر الراوايتين المختلفتين فيما بينها في تفسير الآية الواحدة كأسباب نزولها ولا يقوم بالترجيح بينها وبدون بيان حكمها وفي مواضع النادرة إنه يقوم بالترجيح بينها.

خامسا: وفي بعض المواضع هو يورد روايات اسباب النزول من التفاسير الأردية ويذكر مصدرها ولكن لم يذكرها في اللغة الأردوا بل يورد فقط ترجمتها في اللغة البشتو.

سادسا: وفي المواضع القليلة يذكر مصادر الروايات التي نقلها كسبب النزول في تفسير بعض الآيات.

سابعا: في بعض المواضع النادرة قام الشيخ ببيان مفهوم المصطلحات المفسرين في أسباب النزول، ويفرق بين أسباب النزول الأصلية وبين المصداق، وفي بعض المواضع إنه يقوم بالترجيح عندما يأتي التعارض بين أسباب النزول وبين روايات التي توضح زمن نزول السورة ، وكذلك في المواضع القلية إنه يجمع بين روايات أسباب النزول.

([27]) جميع الروايات التي وردت كسبب النزول لهذه الآية "ضعيف الإسناد" : أنظر : الدخيل من أسباب التنزيل للدكتور أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري : مطبعة الأمانة مصر، ١٤٢٠ه الموافق ١٩٩٩م ص:١١٨۔

([28]) حافظ محمد إدريس،كشاف القرآن ، ج:١،ص: ١٢٥۔

قد بينت بالإختصار منهجه ونظريته فيما يتعلق بأسباب النزول في النكات المذكورة والآن سأذكر بعض الأمثلة التطبيقية من تفسير وضاحة القرآن لكي يتضح لنا طريقة الشيخ التي اختارها في هذا الجانب.

الأمثلة التطبيقة من تفسيروضاحة القرآن فيما يتعلق "بأسباب النزول":

إن الشيخ سلطان محمود اعتنى كثيرا بذكر "أسباب النزول" في تفسيره ولا يلتفت إلى بيان أسباب النزول لسور إلا قليلا، و في المقابل هو يذكر بالكثرة الروايات المتعلقة بأسباب النزول للآيات، ومصادره في هذا الجانب تفاسير مثل تفسير ابن جرير الطبري وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير وتفسير روح المعاني للإمام الآلوسي وتفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي وتفسير بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي وتفسيرأحكام القرآن لإبن العربي وغيره. وأحيانا ينقلها من كتب الستة للآحاديث النبوية ومن مسند الإمام أحمد. ولكن لا يذكر الشيخ في أكثر المواضع مصادرها، وقد يذكرمصادرها في بعض الأحيان وينقل الروايات المتعلقة بأسباب النزول أكثرا باللغة البشتو ولم يذكرها باللغة العربية ولا يلتفت لتحقيق اسنادها بل هو يعتمد على المفسرين المتقدمين. ويذكر إسم الراوي من الصحابة على الأغلب، وفي بعض الأحيان يترك الروايات بدون الترجيح وكذلك إنه بين مفهوم بعض المصطلحات المستعملة في أسباب النزول فلناخذ بعض الأمثلة من تفسيره ليبرز منهجه لنا ولنعرف كيفية نقله من كتب الحديث ومن تفاسير السلف في هذا الجانب:

أولا: ذكر مفهوم الرو ايات المتعلقة بأسباب النزول باللغة البشتو لبعض السوروالآيات بدون ذكر مراجعها ومصادرها

في تفسير قول الله عزوجل: "قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ"و "مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ" [29]. قال الشيخ عن سبب نزول هذه الآية "روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أتاه عبد الله بن صوريا وسئل: أي ملك يأتيك بوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي إلي جبريل: فقال هو عدونا ينزل بالقتال والشدة علينا، ورسولنا ميكائيل يأتي إلينا بالبشارات والرخاء فلو كان هو الذي يأتيك آمنا بك". وخلاصة الكلام أنهم صنعوا القصص والخرافت والحيل لأنهم لا يريدون الإيمان على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. والمقصود الإلهي في هذا المقام بيان عظمة الشأن لحامل الوحي، يعني جبريل عليه السلام وسائر الملائكة أيضاً. والأخرى أن يتضح للناس أن العدواة مع جبريل في الأصل عداوة مع الله تعالى، وتنبيه على: أي دخل لعدواة جبريل مع الإيمان بالقرآن لأنه سفير محض وهو الذي نزل القرآن على قلب محمد بإذن الله تعالى، ولكن انظروا إلى صفا القرآن الكريم وخصائصه، ومن أهم خصائصه: أنه مصدقا لما بين يديه من الكتب وبشرى للمؤمنين" [30].

هذه الرواية التي ينقل لنا المؤلف باللغة البشتو بدون ذكر مرجعها نقلها أكثر المفسرين كسبب نزول لهذه الآية [31].

إن الشيخ لم يذكر مصدر هذه الرواية ولا سندها بل ذكر خلاصتها باللغة البشتوية.

كذلك في تفسيرقول الله عزوجل: "إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ"فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ" "إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ" [32].

([29]) القرآن۲: ۹۷،۹۸۔

([30]) الشيخ سلطان محمود ، تفسير وضاحة القرآن، الطبع الثاني، سن برنترز بشاور،۲۰۱۶م،ج:۱،ص:۳۶۔

([31]) وغالب الإمكان أن الشيخ نقلها من تفسير الكبير للإمام الرازي ، الذي يقول : "المسألة الأولى : أن قوله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّا لِّجِبْرِيلَ﴾ لا بد له من سبب وأمر قد ظهر من اليهود حتى يأمره تعالى بأن يخاطبهم بذلك لأنه يجري مجرى المحاجة ، فإذا لم يثبت منهم في ذلك أمر لا يجوز أن يأمره الله تعالى بذلك والمفسرون ذكروا أموراً ، أحدها : أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا فقال " ثم يذكر الإمام الرازي كل الرواية بالتفصيل وفي الأخير يأتي بسؤال اليهود عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أي ملك يأتيك بما تقول عن الله؟ قال جبريل : قال إن ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ، ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فلو كان هو الذي يأتيك آمنا بك "أنظر : تفسير الكبير للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۱۱ ھ ، ۱۹۹۰م ج:۳،ص:۱۷۷و۱۷۸۔

([32]) القرآن۱۰۸ : ۱،۲،۳ ۔

يقول الشيخ عن سبب نزول هذه السورة : "قال عبد الله بن عباس: إن أكبر أولاد النبي صلى الله عليه وسلم قاسم ثم بعده زينب وبعده عبدالله ثم على الترتيب أم كلثوم و فاطمة و رقية، فتوفي قاسم أولا ثم عندما توفي عبد الله فقال عاص بن وائل: "بتر محمد"، وكذلك قال هكذا عقبة بن أبي معيط، قال عطاء: "عندما توفي الإبن الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم فعم الرسول صلى الله عليه وسلم أبالهب، وكان بيته في جوار النبي صلى الله عليه وسلم، ذهب إلى مجلس زعماء القريش وبشرهم أن محمدا قد بتر" [33]، فهذه هي الأحوال والمصائب التي نزلت السورة في عقبها تسلية وبشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وإخبارا أن مخالفيه سيكونون يبترون" [34]. ونقل المؤلف هذه الروايات باللغة البشتو بدون ذكر مصادرها وبعدم قيامه للترجيح بينها [35]، لأنه لم أراد أن ينظر هنا إلى سبب نزول خاص بل هو ركز فكرته على الأحوال والمشاكل في مراحل الدعوة التي نزلت فيها هذه السورة.

ثانيا: ذكر أسباب النزول للآيات التي بين فيها الشيخ المراجع والمصادر

كما بينت سابقا أنه من المنهج العام عند الشيخ أنه لم يذكر مصادر لروايات أسباب النزول وهذ هو منهجه الغالب ولكن عندما نقرأ تفسيره فنجد في بعض مواضع النادرة أنه ذكر فيها مصادر مراجع الروايت فلنذكر المثالين من تفسيره ففي تفسير قول الله تعالى: "أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا" [36]. يقول الشيخ بحيث يبرز سبب نزول الآية: "كان الصحابي خباب بن الارت[37] رجلا حدادا وكان له دينا على عامر بن وائل فتقاضاه يوما، فأجاب عامر بن وائل: "لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال: "لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث،

([33]) جميع هذه الروايات ضعيف من جهة السند ,أنظر: الدخيل من أسباب التنزيل للدكتور أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري : ص:٣٩٣إلى٣٩٦ .إن هناك رواية واحدة التي صحيح الإسناد وهي : "أخرج النسائي والبزار والطبراني وابن جرير عن ابن عباس :قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن وأهل الحجيج ، وأهل السدانة وأهل السقاية ،فقال : أنتم خيرا منه ، قال فنزلت : إن شانئك هو الأبتر" . ولمزيد التفصيل أنظر : المقبول من أسباب النزول لدكتور أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري ص:٧١٩و٧٢٠ـ

([34]) الشيخ سلطان محمود ، تفسير وضاحة القرآن : ج:٣ ،ص:١٠٠٤،١٠١٤ ـ

([35]) وقد ذكر هذه الروايات أكثر العلماء في تفاسيرهم كسبب النزول لهذه السورة واختلفت الروايات في من قال : بتر محمد ، ذكر الإمام ابن كثير هذه الروايات في تفسيره يقول : " قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير، وقتادة : نزلت في العاص بن وائل . وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة . وقال شَمِر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي مُعَيط . وقال ابن عباس أيضا ، وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش . وعن عطاء: نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال : بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ } وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل. وعنه: { إِنَّ شَانِئَكَ } يعني: عدوك. وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتصفَ بذلك ممن ذكر"، وغيرهم . مختصرا من تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه-- ١٩٩٩ م ، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج:٨ ،ص:٥٠٤ـ

([36]) القرآن١٩ : ٧٧ ـ

([37]) "هو خباب بن الأرت - بتشديد المثناة -التميمي ويقال الخزاعي أبو عبد الله.سبي في الجاهلية فنبيع بمكة فكان مولى أم أنمار الخزاعية وقيل غير ذلك ثم حالف بني زهرة وكان من السابقين الأولين. أنه أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك. شهد المشاهد كلها وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين جبر بن عتيك . لما رجع علي من صفين مر بقبر خباب فقال: رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلى في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجره . وكان يعمل السيوف في الجاهلية ثبت ذلك في الصحيحين وثبت فيهما أيضاً أنه تمول وأنه مرض شديداً حتى كاد أن يتمنى الموت. نزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ هـ وقيل : مات سنة تسع عشرة والأول أصح" . أُنظر : الإصابة في معرفة الصحابة، لإبن حجر العسقلاني،ج:١،ص:٢٨٥.ـ

فقال عامر: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي مال وولد فأعطيك دينك. فأنزل الله هذه الآية" [38]. وبعد نقل مفهوم الرواية المذكورة يذكر الشيخ مرجع الرواية فإنه نقلها من تفسير بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي [39]. وكذا في قوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ..."[40].

يذكر الشيخ في سبب نزول هذه الآية رواية الصحيح البخاري وذكر مصدرها ونقلها باللغة البشتو حيث يقول: "هذه الآية يقال لها آية الحجاب روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم مرات: "يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كا كان مختارا أن ينفذ هذا القانون من نفسه فلهذا الوجه انتظر الوحي من جانب الله تعالى، فأنزل الله تعالى هذا الحكم أن لا يجوز لأحد أن يدخل في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا لأحد حاجة من بيت النبي صلى الله عليه وسلم فعليهم أن يسئلوا من وراء حجاب. وبعد نزول هذه الآية تعلقت الحجاب على أبواب حجرات أُمهات المؤمنين، ولأن بيت النبي صلى الله عليه وسلم قدوة وأُسوة حسنة للمؤمنين ففعلوا مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم. وفي فقرة الآخيرة لهذه الآية تعليم أن النساء والرجال الذين يريدون التزكية لقلوبهم فعليهم أن يختاروا هذه الطريقة[41].

ثالثا: ذكره للرو ايات المختلفة كأسباب النزول للآية الواحدة وعدم قيامه بالترجيح بينها

وفي بعض الأحيان يبين الشيخ الروايات المختلفة ولا يقوم بالترجيح بينهما، ففي تفسير قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [42].

يقول الشيخ سلطان محمود: "لم يذكر القرآن الكريم صريحا الشيء الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه، ولكن بين المفسرون والمحدثون حادثتين مختلفتين اللتين نزلت الآية بسببهما، الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع العلاقة الزوجية مع زوجة من أزواجه، فنزلت السورة في عقب ذلك.

والثاني واقعة تحريم العسل على نفسه، فقد روى الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام الترمذي[43] وسواها عن عائشة رضي الله عنها بهذا الشأن أن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته إذا انصرف

([38]) الشيخ سلطان محمود ، تفسير وضاحة القرآن،ج:٢،ص:١٦ـ

([39]) وقد ذكر هذه الرواية كثير من المفسرين في مؤلفاتهم بوجوه عديدة مثلا نقل هذه الرواية الإمام ابن كثير عن الإمام الإمام أحمد : "حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خباب بن الأرت قال : كنت رجلا قينًا ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه. فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد"، فأعطيتك، فأنزل الله: "فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا } إلى قوله: { وَيَأْتِينَا فَرْدًا " . ثم يقول الإمام ابن كثير بعد ذلك: " أخرجه صاحبا الصحيح وغيرهما، من غير وجه، عن الأعمش ، وفي لفظ البخاري: كنت قينًا بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفًا، فجئت أتقاضاه. فذكر الحديث " أنظر لمزيد التحقيق، تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، ج:٥ ،ص:٢٥٩ ـ

([40]) القرآن٣٣ : ٥٣ـ

([41]) الشيخ سلطان محمود، تفسير وضاحة القرآن،ج: ٢،ص: ٢٦٩ ـ

([42]) القرآن٦٦: ١ـ

([43]) "هو الإمام الحافظ أبوعيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي ، أحد أئمة الأعلام ، ويرتحل إليهم في طلب الحديث ، ولد سنة ٢٠٩هـ ، ورحل في سبيل العلم المراحل الطويلة ، فارتحل إلى الحجاز والعراق والخراسان وغيره ، وبعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وألف وصنف وبقي ضريرا سنتين في آخر عمره ثم توفى ، وكانت وفاته بترمذ في شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، ومن شيوخه : الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أبو داؤد وغيره ، وأخذ عنه الحديث والعلم خلائق كثيرون ، ومن مؤلفاته : كتاب العلل ، وكتاب التاريخ ، وكتاب الشمائل النبوية ، وكتاب الزهد ، وكتاب

من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن. فدخل على زينب [44] فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عَسَل، فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالَن له. فقلت لحفصة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي : أكلت مغَافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له، سقتني زينب شَربة عسل"، "قالت: جَرَسَت نَحلُه العرفطَ فقال رسول الله صلى الله قسما لا أشرب العسل ، فلا تخبري بذلك أحداً ولكن حفصة أخبرت به عائشة فنزلت "ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ ما أحل الله لك" [45] [46].

ونقل الشيخ هذه الروايات باللغة البشتو وقد ذكر مصدره أنه نقلها من الصحيحين واختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية والمفسر سلطان محمود نقل كلا الروايتين بدون ترجيح أحدهما.

والصحيح أن قصة العسل هي أصل السبب لنزول هذه الآية وهذا ما رأه الإمام الآلوسي أن الأخبار متعارضة في هذه المسألة ولكن هو وصل بعد تحقيق المسألة أن سبب النزول الصحيح هي قصة العسل لا قصة أخرى ، وكذلك إلى هذا الرأي ذهب الإمام النووي في شرح مسلم . ورأى أكثر المحققين أن قصة مارية لم تات بطريق صحيح [47] .

رابعا :بيان السياق والأحوال التي نزلت فيها السورة والآيات

ومن منهجه أنه في بعض الأحيان يبين الأحوال العامة في بيان تفسير السور أو المجموع من الآيات ، ويقول أن هذه الأحوال كلها سببا لنزولها كما فعل في تفسير قوله تعالى: "قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ" و "لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ"[48].

قال الشيخ في سبب نزول هذه السورة : " هذه السورة نزلت في الدور الذي لم ييئس فيه كبار القريش عن المصالحة مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن، روي عن ابن عباس: أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لنا ولك فيها صلاح أن تعبدوا آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فجاء الوحي فقال الله تعالى: "قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ" السورة، وأنزل الله: "قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ" و"وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ" و"بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ"[49] هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، قل للكفار هذا بألفاظ واضحة ولكن المضمون الذي يأتي بعده يصرح على أن هذا الخطاب عام حتى إن المرء الذي تاب عن الكفر وآمن بالله وحده لازم عليه أن يظهر براءته من دين الكفر وعبادته ومن معبوديه "[50] .

الأسماء والكنى وغير ذلك، أُنظر : وفيات الأعيان"،ج: ۴ ،ص:۲۷۸۔ و شذرات الذهب، ج: ۲ ،ص: ۱۷۴۔ و تهذيب الكمال، ج:۱۷ ،ص: ۱۳۳ ،۱۳۵ ۔

(44) "هي زينب أم المؤمنين بنت جحش بن رياب، وابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.أمها: أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم. وهي أخت حمنة، وأبي أحمد.من المهاجرات الاول.كانت عند زيد، مولى النبي صلى الله عليه وسلم.وهي التي يقول الله فيها: * (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله .وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) [الاحزاب: ۳۷].فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد.فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه" . سير أعلام النبلاء، ج: ۲ ،ص: ۲۱۱ ۔

(45)الإمام ميلم بن حجاج ، صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب : وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ، حديث رقم : ۳۶۸۹ ، أبريل ۲۰۰۰ م ، محرم ۱۴۲۱ هـ ، دار السلام للنشر والتوزيع .

(46) الشيخ سلطان محمود، تفسير وضاحة القرآن، ج: ۳،ص: ۸۵۷ .۸۶۱

(47) الإمام شهاب الدين الآلوسي ، تفسير روح المعاني ، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج:۱۵،ص:۲۱۸۔

(48). القرآن۱۰۹ : ۱،۲ ۔

(49). القرآن۳۹: ۶۴إلى۶۶۔

(50) الشيخ سلطان محمود، تفسير وضاحة القرآن:ج: ۳،ص: ۱۰۰۵،۱۰۱۵

قد ذكر الشيخ هنا الأحوال التي نزلت فيها هذه السورة ، وهذه طريقة مفيدة في فهم الآيات عندما نفهم الأحوال العامة للدعوة الإسلام ونزول القرآن في تلك الأحوال. وربما تأثر الشيخ في هذا الجانب بمنهج العلامة المودودي الذي سلك هذا المسلك في تفسيره "تفهيم القرآن" بأنه قبل بداية تفسير السورة يذكر الأحوال والظروف ومرحلة الدعوة النبوية وحالات المخاطبين.

لم يذكر الشيخ مصدر قول ابن عباس ولم يأتي بأصل ألفاطه باللغة العربية بل اكتفى بترجمته باللغة البشتو ولكن بعد المراجعة إلى كتب التفسيررأيت أن الشيخ رحمه الله نقل هذا القول من تفسير جامع البيان في تأويل القرآن[51].

خامسا: بيان الفرق بين أسباب النزول والمصداق

إن الشيخ سلطان محمود قد يوضح الفرق بين سبب النزول وبين مصداق الآية في بعض الأمكنة وهذا يدل على علمه الدقيق في هذا الجانب.

مثلا في قوله تعالى: "وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ" "ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ" "وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ"[52].

يقول الشيخ: جعل بعض المفسرين هذه السورة مدنية، و سبب ذلك عدم معرفة الحال على الحقيقة أصله رواية ابن عباس بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وفي ذلك الوقت قد زادت مرض التطفيف في أهل المدينة فأنزل الله هذه الآيات. فلا يثبت من هذه الرواية أن هذه السورة مدنية لأن هذه كانت الطريقة العامة عند الصحابة والتابعين بأنهم كانوا يطبقون الآيات على المعاملات حسب موافقة المعاملة مع مضمون الآية ويقولون أن الأية نزلت في كذا وكذا [53].

رأينا في هذا المثال بأن الشيخ يجعل هذه الرواية مصداق للآية وليس أصل سبب النزول وبهذا الطريق هو يجمع الروايات وبهذا يزيل التعارض.

وكذلك في تفسير قوله تعالى:"إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ" [54].

يقول الشيخ سلطان محمود: "هذا الامر ظاهر من سياق الكلام أن بعد ذكر الإيمان والإسلام لنصارى الحبش هنا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود منه اللوم لكفار مكة بأنكم أهل الشقاق فابكوا على حالتكم أن الناس الذين أتوا من الأطراف المختلفة يستفيدون من هذه النعمة وأنتم محرمومين الفيض عن هذا العين الذي في داركم، وليس سبب ذلك بأنكم لا تطلبون الإستفادة منه بل لا يوجد فيكم الإجتهاد إلى جانب الحق وهو شرط لوجدان الهداية". وأن رواية سبب النزول لهذه الآية لا تنافي هذا المفهوم، كما قيل "بأن هذه الآية نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم". لأن هذه الطريقة معروفة ومعلومة عند المحدثين والمفسرين بأنهم يعدون كل معاملة وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سبب النزول عندما تطابق الآية بتلك المعاملة[55].

نتائج البحث والمقارنة بين نظريات الشيخ محمد إدريس والشيخ سلطان محمود:

([51])يقول الإمام ابن جرير الطبري : " عن ابن عباس: أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزّوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: "ما هي ؟ " قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزي، ونعبد إلهك سنة"، قال: "حتى أنْظُرَ ما يأتي مِنْ عِنْدِ رَبّي"، "فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ. السورة، وأنزل الله: قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ... إلى قوله: فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ"أنظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، ج:٢٤،ص:٦٦٢ ـ

([52]) القرآن٨٣: ١إلى٣ـ

([53]) تفسير " وضاحة القرآن " للشيخ سلطان محمود ،ج:٥،ص: ٤٥٤.

([54]) القرآن٢٨ :٥٦ـ

([55]) الشيخ سلطان محمود ، تفسير وضاحة القرآن ، ج:٤،ص:٨٢.ـ

قدقدمت أولا في التمهيد أهمية أسباب النزول ثم قدمت بالإيجاز المعلومات المهمة من حياة الشيخين وخدماتهم الدينية الإصلاحية والتصنيفية:

1. علمنا في ضوء هذا المقال أن كلا الشيخين يسلمان أهمية هذا العلم فإنهما إستفادا كثيرا من هذا العلم في تفاسيرهما، وكلاهما من المتوسطين في هذا الجانب بأنهما لم ياتوا روايات أسباب النزول تحت كل آية بل عندما وصلا إلى المواقع الصعبة التي لا تعطي مفهوما كاملا فإنهما يستفيدان من هذه الروايات للإيصال إلى مراد الآيات الصحيحة.
2. رأينا أن الشيخ محمد إدريس قد وضح موقفه عن أسباب النزول في مقدمة التفسير بالتفصيل المناسب وعلمنا من موقفه أنه سلك مسلك العلماء المحققين وخاصة سار على طريقة الشاه ولي الله الدهلوي في هذا الجانب. وأن المفسر الآخر هو الشيخ سلطان محمود فإنه لم يبين موقفه عن هذا العلم في مقدمة تفسيره، وقد قدمت الشواهد من تفسيره أنه ايضا يسلك على طريقة الشاه ولي الله .
3. بعد هذه الدراسة الوجيزة وصلنا إلى الحقيقة أن الشيخ محمد إدريس مقل في إيراد الروايات المتعلقة بأسباب النزول، وفي جانب آخر وجدنا أن الشيخ سلطان محمود يذكر أكثرا أسباب النزول.
4. ومن أهم جوانب نظريات هذين التفسيرين أن مع الإستفادة من الروايات الخاصة لإأسباب النزول والإستفاجة منها في فهم الآيات القرآنية فإهما على موقف العلماء المحققين بأن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وأن ألفاظ القرآن وهداياته عامة تصلح لجميع الأحوال والأزمان وليست محدودة إلى وقائع خاصة.
5. وفي أكثر المواضع شاهدنا أنهما يأتيان بسبب واحد ولكن في بعض الأحيان يذكران الروايات المختلفة ويجمعان بينهما ويجعلان هذه الروايات مصداقات للآية وليست أسباب خاصة محدودة؛ فعلى هذه الطريقة هما يرفعان الإشكالات.
6. وجدنا أن كلا المفسرين يذكران عموما الروايات باللغة البشتو وخاصة هو كنهج الشيخ محمد إدريس بأنه يشير إلى الرواية ويبين خلاصتها بدون ذكر المصادر والمراجع لأن تفسيره مختصر جدا فهو في مجلدين فقط ومع هذا الإختصار هو جامع بحيث لا يترك أي وضاحة ولا أي فن وجانب مهم من فنون وعلوم التفسير، وعلى مقابلته فإن التفسير وضاحة القرآن للشيخ سلطان محمود أكبر في الحجم بأنه يقع في خمسة مجلدات ، فإنه في اكثر الأحوال يذكر مفهوم الروايات المتعلقة بسبب النزول باللغة البشتو بالتفصيل وفي بعض المواضع يذكر المراجع والمصادر ولكن في أكثر الأماكن لا يذكر ذلك.
7. وكذلك بعد الدراسة نرى أن في المواضع النادرة أنهما يقومان للترجيح بي ن الروايات المختلفة ولم يدخلان إلى التحقيقات في الأسانيد خاصة، وكذلك لم يتوجهان إلى بيان المصطلحات العلمية والفنية المتعلقة بعلم أسباب النزول ولو أن تفاسيرهما ليست خالية تماما عنها، كما نرى الحافظ محمد إدريس في مقدمة تفسيره وكذلك الشيخ سلطان محمود في تفسيره لأن مقاصدهما ليس البيان لهذه العلوم والفنون فقط كما هو منهج بعض العلماء المتقدمين، بل ركزوا على إصلاح المجتمع والبيئات التي عاشا فيها، ورعا لإذهان المخاطبين وأرادا أن يسهل لهم مفهوم القرآن على وجه العام.